الأدب الإسلامي: مفهومه، ودائرته، وبدايته

The Islamic Literature: Its Concept, Scope, And Origins

Dr. Md. Manzoor Hussain

(Associate Professor of Arabic and Head Department of Arabic, Anwarul Uloom Degree College Hyderabad)

ملخص البحث:

هذا المقال يتناول بيان مفهوم الأدب الإسلامي وذكر دائرته وتسليط الضوء على بدايته. أما مفهوم الأدب الإسلامي فتعددت تعريفاته وتنوعت التعبيرات عنه، إلا أنها تتفق على ركنين أساسيين، وهما التعبير الفني الجميل والتصور الإسلامي للحياة والكون والحياة. وأما دائرته فكل أدب تناول فيه الأديب موضوع الحياة أو الكون أو الإنسان بتعبير فني جميل من خلال تقديم التصور الإسلامي للخالق عزوجل ومخلوقه فيندرج في دائرة الأدب الإسلامي، وما ليس بذلك فيخرج من دائرة الأدب الإسلامي، وأما بدايته فهو قديم قدم الإسلام، إلا أن المصطلح هو جديد، وضعه الأدباء المعاصرون، ودعوا إلى تأصيله وتطويره من خلال اللسان والقلم وفي مجال التنظير والتطبيق. يتناول المقال هذه الجوانب المذكورة مما يتعلق بالأدب الإسلامي. يبدأ المقال بمقدمة وينتهي بخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإسلامي. دوائر الأدب. ركن الأدب الإسلامي.

مقدمة

إن الإنسان مسؤول عن كل كلمة يقولها، قال الله تعالى في القرآن المجيد: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد".[1] وإن كلمة تخالف مرضاة الله قد تؤدي صاحبها إلى عذاب الآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار".[2] فعلى كل مسلم أن ينظر ما يتكلم بلسانه ويكتب بقلمه. وإذا كان هذا الوعيد على كلمة عادية وإذا كانت مسؤولية الإنسان هذه عن كلامه العادي فما بال الكلمة الأدبية التي تؤثر في النفوس وتهز العواطف وتستميل القلوب. فمن ثم يجب على الأديب المسلم أن يراعي الأسس الإسلامية وينجز إنتاجاته الأدبية من خلال تقديم التصور الإسلامي للحياة والكون والإنسان، كما يجب عليه أن يهتم بالأدب الإسلامي من ناحية أخرى، وهي أن الأدب المعاصر يعارض المبادئ الإسلامية، ويهاجم القيم العالية الفاضلة، ويفسد الجيل الجديد خلقه وفكره، ويشيع الفاحشة والتبرج وما إلى ذلك من المنكرات، فيجب على الأدباء المسلمين أن يقاوموا هذا الأدب المعاصر الفاجر بالأدب الإسلامي.

ولكن ما هو الأدب الإسلامي؟ ما حده؟ وما دائرته؟ ومتى ظهر في الوجود؟ وكيف تداول في العصر الحاضر؟ هذه الأسئلة مهمة لكل من يريد أن يتعرف على الأدب الإسلامي. فهذا المقال في الحقيقة محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة.

مفهوم الأدب الإسلامي

حاول الأدباء المعاصرون توضيح مفهوم الإسلامي وتعريفه الجامع الدقيق، فتعددت تعبيراتهم وتنوعت كلماتهم، منها ما قدمت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بلفظ "الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي".[3] ومنها ما عبر عنه سيد قطب بقوله: "التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية".[4] وتعريفه لدى محمد قطب: "التعبير الجميل عن الكون والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان".[5] ولدى عبد الرحمن رأفت الباشا: "التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته".[6] وعرفه نجيب كيلاني: "هو تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم وباعث للمتعة والمنفعة ومحرك للوجدان والفكر ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما".[7] واختار محمد حسن بريغش لتعريفه عبارة "الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يعبر عن التصور الإسلامي في الحياة بكل أبعادها وألوانها، وهو الأدب الذي يحمل رأي الإسلام ويوافق شرع الإسلام ولا يخرج عن إطاره مهما تكن الأسباب.[8] وقال عماد الدين خليل إن الأدب الإسلامي يمكن تعريفه بإيجاز بالغ بأنه "تعبيرجمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود".[9] وقال محمد الحسناوي: "هو التعبير الموحي عن قيم الإسلام الحية التي ينفعل بها المسلم وتنبثق عن تصور الإسلام للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والله تعالى وبين الإنسان والكون وبين بعض بني الإنسان وبعض".[10]

من خلال النظر في هذه التعريفات للأدب الإسلامي والتعبيرات عن مفهومه يتضح أن الأدب الإسلامي لها ركنان أساسيان، هما التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة، والتصور الإسلامي للوجود، فالأول هو الجانب الفني الذي لا بد من توافره، والثاني هو التصور الإسلامي الذي ينطلق منه النص. فالأدب الإسلامي هو التعبير عن الجمال تعبيرا مؤثرا هادفا فنيا يوافق التصور الإسلامي للوجود والحياة والكون. وفي ضوء التعريفات التي ذكرته آنفا يمكن القول إن الأدب الإسلامي يجمع بين الشكل والمضمون جمع توازن، ويشمل جانبي فنية الأدب وإسلاميته شمول اعتدال ووسطية. فلا بد من الأدب الإسلامي أن يكون تعبيرا جماليا، وأن يكون يرمي إلى الأهداف السامية ويحقق المبادئ الإسلامية والإنسانية، وأن يكون منطلقا من المنظور الإسلامي للإنسان والحياة والكون، ونابعا من مبدأ عقدي إيماني.

هذا مفهوم الأدب الإسلامي، وهناك مصطلحات أخرى تستخدم للدلالة على مفهوم الأدب الإسلامي، منها: أدب الفكرة الإسلامية، وأدب العقيدة الإسلامية، وأدب الدعوة الإسلامية، والأدب الديني، والفن الإسلامي، والاتجاه الإسلامي، والأدب المسلم، وأدب الشعوب الإسلامية، والأدب الأخلاقي.[11]

دائرة الأدب الإسلامي:

بإمعان النظر في المفهوم الإسلامي يتحدد دائرته بأنه أدب لا بد له من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة إلى جانب التعبير الجمالي المؤثر الفني. فمن هنا توجد ثلاث دوائر للأدب:

- الأولى: دائرة الأدب الذي يقدم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.
- الثانية: دائرة الأدب الذي يخالف التصور الإسلامي والقيم الإسلامية.
- الثالثة: دائرة الأدب الذي لا يقدم التصور الإسلامي، كما لا يخالفه ولا يعارضه، فهو ساكت عن التصور الإسلامي، ويجتنب القيم المضادة للإسلام.

فإن الدائرة الأولى من هذه الدوئر الثلاث هي دائرة الأدب الإسلامي كما لا يخفى، والدائرة الثانية هي دائرة الأدب غير الإسلامي أو دائرة الأدب المعارض للإسلام كما هو واضح. أما الدائرة الثالثة فاختلفت فيه آراء الأدباء المعاصرين، فمنهم من ذهب إلى أنها دائرة الأدب الإسلامي كما قال الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي:

> "أما القسم الثاني فربما يشك في أمره ويظن أنه ليس من الإسلام، لأنه لا يحمل دائما شعارا إسلاميا، ولكنه يدخل في الإطار الإسلامي ما دام يكون خاليا مما نهى الله ورسوله عنه".[12]

ومنهم من ذهب إلى أنها ليست بدائرة الأدب الإسلامي، كما قال الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا:

> "فرب قائل يقول: ما موقفكم من هذا الفيض الزاخر من الشعر الذي لا ينبع من روح الإسلام ولا يعبر عن مراميه، ولكنه في الوقت نفسه لا يناقضه ولا يجافيه؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إننا نقف من هذا الأدب موقف المحايد، فلا نمنعه ولا نسخط عليه، وإنما نجد فيه ثروة فنية ثرة نلجأ إليها عند الحاجة، ونعتمد عليها في سد الفراغ".[13]

فبناء على ما تقدم آنفا يمكن القول إن هناك ثلث دوائر في الأدب: دائرة الأدب الإسلامي، دائرة الأدب المعارض للإسلام، دائرة الأدب المباح في الإسلام.

بداية الأدب الإسلامي:

إن الأدب الإسلامي قديم قدم الإسلام، فبدأ منذ نزل أول وحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن القرآن خير نموذج وأحسنه وأفضله من نماذج الأدب العربي فضلا عن الأدب الإسلامي. فالأدب الإسلامي ظهر في الوجود في العهد النبوي، واستمر وجوده حتى العصر الحديث، إلا أنه أطلق عليه مصطلح خاص في الأدب العربي الحديث، فالجديد بالنسبة للأدب الإسلامي هو وضع مصطلحه، ودعوة الأدباء إلى اتباع مذهب إسلامي أدبي في إنتاجاتهم الأدبية من خلال تقديم التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون، وأخذهم الاتجاه الإسلامي بعين الاعتبار. والطلب منهم أن يرفض المذاهب الأدبية والاتجاهات الأدبية التي تعارض التصور الإسلامي.

وإن أول من دعا إلي هذا المعنى الجديد أو الجانب الجديد بالنسبة للأدب الإسلامي هو الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، حيث قدم بحثا دعا فيه إلى إقامة أدب إسلامي، وذلك حين اختير عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق. فإنه – حسبما قال عبد الرحمن رأفت الباشا – أول الداعين إلى ذلك وطليعة المنبهين إليه.[14] ثم تبعه سيد قطب الشهيد حيث أعد بحثا في هذا الموضوع، نادى فيه بتأصيل أدب إسلامي. وأول من لبى نداءه أخوه الأستاذ محمد قطب، فإنه ألف كتابا باسم "منهج الفن الإسلامي، فهو أول كتاب صدر في موضوع الأدب الإسلامي. ثم جاء الدكتور نجيب الكيلاني، وكتب "الإسلامية والمذاهب الأدبية"، ثم كتب الدكتور عماد الدين خليل كتابا باسم "في النقد الإسلامي المعاصر".

هذا في مجال التنظير والتأليف، أما في مجال التدريس والتطبيق بإعداد البحوث فخدمات كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وجهودها تجدر بأن نذكرها ونقدرها ونعترف بفضلها في تأصيل الأدب الإسلامي وتطويره في العصر الحديث، وتتمثل خدماتها وجهودها في التالي:

1. تدريس مادة منهج الأدب الإسلامي للمرحلة الجامعية ابتداء من عام (1397هـ - 1977م)
2. تدريس مادة منهج الأدب الإسلامي في مرحلة الدراسات العليا ماجستير، ابتداء من عام (1399هـ - 1979م)
3. إضافة شعبة منهج الأدب الإسلامي إلى قسم البلاغة والنقد.
4. إنشاء موسوعة أدب الدعوة الإسلامية. وصدر منها: ....
5. تنظيم ندوة علمية باسم (ندوة الأدب الإسلامي)، وذلك في عام 1405هـ. وقد تولت الجامعة طباعة بحوثها في عام 1413هـ.

6. تسجيل عدة رسائل علمية في درجة الماجستير والدكتوراه في موضوعات منهج الأدب الإسلامي.[15]

وإذا تحدثنا عن بداية الأدب الإسلامي وتطوره في العصر الحديث فلا يسعنا أن لا نذكر رابطة الأدب الإسلامي العالمية، فإن لها دارا بارزا في تنظير الأدب الإسلامي وتأصيله وتطبيقه وتطويره وتوسيع نطاقه. إنها تأسست في عام 1406هـ/ 1986م، وقد اختير أبو الحسن الندوي رئيسا لها، والدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا نائب رئيس لها، وقد توسعت الرابطة فأصبح لها خمسة عشر مكتبا في أنحاء العالم. وقامت الرابطة بإصدار سلسلة من الكتب في مجال النقد والشعر والقصة والرواية، وإصدار سلسلة خاصة بالطفل المسلم، كما قامت بإصدار مجلة الأدب الإسلامي الفصلية التي أصحبت منبرا للأدب الإسلامي الجامع بين جمالية الشكل ورفعة المضمون.

الخاتمة:

الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الجميل الهادف عن الحياة أو الكون أو الإنسان أو الخالق تعبيرا نابعا من التصور الإسلامي للخالق تبارك وتعالي ولمن خلقه. فالأدب الإسلامي يقوم على ركنين: التعبير الجميل والتصور الإسلامي. ودائرته تتحدد بالإنتاجات الأدبية التي تقدم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، أما الأدب الذي يعارض مبادئ الإسلام وأسسه ويهاجم قيمه فهو أدب غير إسلامي، وأما الأدب الذي لا يعارض الإسلام، إلا أنه لا يقدم التصور الإسلامي أيضا فهو أدب مباح للإسلام. وقد ظهر هذا الأدب منذ أول يوم نزل فيه الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الجديد في الأدب الإسلامي فهو المصطلح، والدعوة إلى تأصيله وتنظيره وتطبيقه. فنظرا لمعناه الجديد أو جانبه الجديد أول من دعا إليه هو الشيخ أبو الحسن علي الندوي، وما بذلت جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض من جهودها الجبارة في مجال الأدب الإسلامي يجدر بكل تقدير. كما مساهمات رابطة الأدب الإسلامي العالمي في تطوير الأدب الإسلامي تستحق أن تذكر وتقدر.

الهوامش:

[1] سورة ق: 18
[2] مسند أحمد: رقم الحديث: 7945
[3] موقع رابطة الأدب الإسلامي. وعنوان الموقع: https://www.adabislami.org/
[4] سيد قطب: في التاريخ، فكرة ومنهج. ط 10 1967، دار الشروق. القاهرة. ص 5
[5] محمد قطب: منهج الفن الإسلامي. ص 6
[6] د. عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. ص 92
[7] مدخل إلى الأدب الإسلامي. ص 36
[8] محمد حسين بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق. ط 1، 1418هـ، بيروت: مؤسسة الرسالة. ص 94
[9] الدكتور عماد الدين خليل: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي. ط: الأولى 2007م، بيروت: دار ابن كثير. ص 64
[10] محمد الحسناوي: في الأدب والأدب الإسلامي. ط 1، 1406هـ، بيروت: المكتب الإسلامي. ص 5
[11] د عبد القدوس أبو صالح: شبهة المصطلح (مقال). مجلة الأدب الإسلامي، م2، ع8، ص3.
[12] الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة. ط: الأولى 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت. ص 28
[13] الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. ط: الخامسة 2004م، القاهرة: دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع. ص 118
[14] المرجع السابق: ص 112
[15] الدكتور عبد الله صالح العريني: منهج الإدب الإسلامي. ط: الأولى 1431هـ / 2010م، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. ص 21-22

المصادر والمراجع:

1. القرآن المجيد
2. الإمام أحمد بن حنبل: مسند أحمد
3. الدكتور عبد الله صالح العريني: منهج الإدب الإسلامي. ط: الأولى 1431هـ / 2010م، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
4. الدكتور عماد الدين خليل: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي. ط: الأولى 2007م، بيروت: دار ابن كثير.
5. سيد قطب: في التاريخ، فكرة ومنهج. ط 10 1967، دار الشروق. القاهرة.
6. الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة. ط: الأولى 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت. الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. ط: الخامسة 2004م، القاهرة: دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع.
7. مجلة الأدب الإسلامي، م2، ع8.
8. محمد الحسناوي: في الأدب والأدب الإسلامي. ط 1، 1406هـ، بيروت: المكتب الإسلامي.
9. محمد حسين بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق. ط 1، 1418هـ، بيروت: مؤسسة الرسالة.
10. محمد قطب: منهج الفن الإسلامي.
11. موقع رابطة الأدب الإسلامي. وعنوان الموقع: https://www.adabislami.org/
12. نجيب كيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي.

IJCRT